(فيلم عن المهرجان العاشر للشبيبة والطلبة) (من افلام ديفا)

ملاحظات عن مهرجان لايبزيغ للأفلام الوثائقية وعروض التلفزيون في جمهورية المانيا الديمقراطية

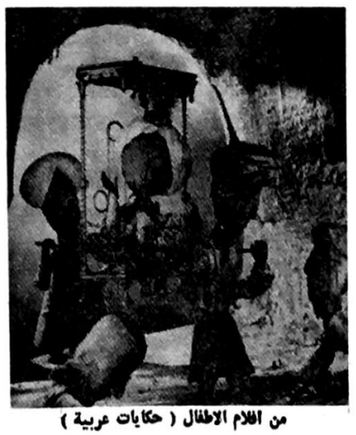

من افلام الاطفال (حكايات عربية)

والنقاد ، وتحويل المهرجان الى تظاهرة نضالية للفيلم السياسي .

الشعوب المضطهدة دائما على صواب

نذكر نموذجا لفيلم من الدانمارك عن القضية الفلسطينية يحمل عنوان (الشعوب المضطهدة دائما على صواب) للمخرج الشاب (نيلس) ، لم يحصل على فرصة العرض في لايبزيغ وقدم في عرضين خاصين ، وحظي باهتمام غير عادي من قبل مشاهديه . يطرح الفيلم موضوعة القضية الفسطينية ، ويوضح من خلال تصوير الواقع الفلسطيني بمقاتليه ومخيماته ليعكس وجهات نظرهم في اصرارهم على حمل البندقية وتحرير كامل التراب وعدم تجزئة الوطن والقضية من خلال المفاوضات التي تدعو اليها القيادات والانظمة البورجوازية والمرتبطة .

قال المخرج للمشاهدين قبل العرض « اننا سنقوم بعروض عامة في الدانيمارك ، وسنجري مناقشات عن الفيلم وعن القضية . اننا لا نكتفي بانتاج الافلام ، وعرضها ، انما تحويلها الى موضوع سياسي » . هذا الفيلم سيكون من افلام مهرجان فلسطين الذي سينعقد تحت شعار (تحرير فلسطين ركيزة للسلام العالمي) .

هذا الفيلم وغير عن « مالي » الذي يعكس النضال ضد العنصرية والاضطهاد ، وفيلم عن تشيلي واخر عن بنغلادش ، ومجموعة من الافلام النضالية ستكون ضمن المهرجان الثاني لافلام وبرامج فلسطين.

لقد جاء تقييم مهرجان لايبزيغ من قبل الوفود المشاركة غير ايجابية قياسا بمستوى المهرجان للاعوام السابقة الذي كان يعكس عاما بعد عام قضايا الشعوب ، ويعرض تقنية متفوقة . ومن الضروري ان يتصاعد مستوى المهرجان في العام القادم ، وان يهتم اتحاد السينمائيين التسجيليين العرب بشكل خاص بموضوع الفيلم العربي ويطالب المشاركة باسمه للافلام العربية الواضحة والمعبرة عن الواقع العربي سياسيا واقتصاديا واجتماعيا .

عروض تلفزيونية

دعا تلفزيون جمهورية المانيا الديمقراطية وفودا عربية عن مؤسسات التلفزيون لمشاهدة نتاجات التلفزيون . وضح ، ان طبيعة النتاجات التي عرضت كانت مدروسة تماما . نغمة الاسبوع قبل مهرجان لايبزيغ للفترة من (١٥ ـ ٢١) تشرين الثاني . ولعل ابرز ما قدم في العروض التلفزيونية هو افلام الاطفال التي يبدع تلفزيون جمهورية المانيا الديمقراطية بانتاجها حيث يخصص امكانيات كبيرة لها اللون من الافلام . ليس هذه الافلام فقط ، انما الافلام السينمائية الطويلة الروائية قد نفذت بشكل مدروس يهم العائلة التي يتوجه اليها التلفزيون . نذكر من هذه الافلام (احب ان اكون ولدا طيبا) . امتاز بالسهولة والبساطة ونفذ باسلوب تربوي ويحقق فكرة تربوية تعليمية معتمد منها (النظام نصف الحياة) .. يقدم هذا من خلال طالب صغير متهم بالمشاكسة ، يسعى لاثبات طيبته وجديته في المدرسة وفي العلاقة العائلية ، وكذلك دور العائلة في التربية المدرسية .

هذا الفيلم باسلوبيته وبضمونه نموذج لفيلم التلفزيون الذي تحتاجه الشاشة الصغيرة في العالم العربي . وكذلك فيلم (الممرضة الس) الذي عرض جهود ممرضة في قرية وكيفية نضالها الاجتماعي ودورها الانساني في كافة العلاقات .

واذا اخذنا نماذج الافلام البوليسية الامريكية والانكليزية التي تعرضها التلفزيونات العربية ، والتي تعتمد على الاثارة واستلاب العواطف ، غير التلفزيون الالماني ينجز حلقات للافلام البوليسية تعتمد المعالجة المنطقية لواقع الجريمة .. طرح انساني نافذ بشكل عقلاني ومشوق دونما استلاب للمشاهدة . هذه الحلقات التلفزيونية هي نموذج غاية في الاهمية لعرضها على مشاهدينا . عرض نموذج من هذه الحلقات (تلفون البوليس ١١٠) .

كما وعرض التلفزيون في برنامجه نماذج من افلام جمالية ابداعية واخرى عن الحرب العالمية الثانية وويلاتها . من امثال فيلم (الابداع في الزجاج) وفيلم (كالعاصفة لا تقهر) .

هذه الافلام ، والبرامج المسجلة بالفيديو عن الموسيقى والاغاني المصورة ، مطلوب من شاشات التلفزيون العربية الاهتمام بها وبشكل خاص افلام الاطفال .

كانت العروض هذه مفيدة ، ولكن حتى الان تسودها مشاكل اللغة سيما فيما يتعلق ببرامج الاطفال الناطقة بالالمانية اذ يطلب ان تكون ناطقة بالعربية ، وان الترجمة على الشريط مسالة غير عملية للطفل .

ان اسبوع العروض التلفزيونية قبل المهرجان سيكون تقليدا مفيدا ، خاصة بعد ان طلب التلفزيون مناقشة مع الوفود المشاركة .

نامل ان يتطور هذا البرنامج ، وان يدرس مهرجان لايبزيغ ملاحظات الوفود التي اجمعت (تقريبا) على عدم نجاحه قياسا بتاريخه السياسي والفني .

■

ردعلى "الشكل والمضمون في السينما السياسية"

نشرت مجلة الهدف) العدد ٣٢٧ ـ ٢٢ تشرين الثاني ١٩٧٥ (مقالا ثقافيا حول الشكل والمضمون في السينما السياسية . وقد انطلق المقال في تعريفه للشكل ، منطلقا خاطئا ، وايضا حتى لا يتكرس مثل هذا الخطا ان نرد عليه .

لنات اولا بمثال واضح نستمده عن كتاب هونود ادوندل (حرية الفن الشكل والمحتوى ـ وحدة الاضداد) : ففي مسرحية هاملت مثلا فان العقدة تدور حول امير دنماركي يحاول ان يثار لمقتل ابيه . والاسلوب هو شعر مرسل يتخلله نثر . والشكل هو تراجيديا ذات خمسة فصول . والموضوع الاساسي (....) هو ماساة الفرد الذي يجد الظروف فيحاول بمجهود فردي ان يعيد الامور الى نصابها ؟

وما يهمنا من هذا المثال هو التشديد على ان « الشكل هو تراجيديا ذات خمسة فصول » . واذا ما عدنا الى المقال لوجدنا ان تعريف الشكل جاء كالاتي : « هو الاسلوب السينمائي او اللغة المصورة المتحركة ، التي يخاطب بها المخرج جمهوره من خلال قصة او موقف ما » . مثل هذا التعريف هو من قبيل الخطا الفاضح . وان هذا الاستطراد التوضيحي « وبعبارة اوضح » يجعل الخطا اكثر فضيحة : « يبقى الشكل السينمائي هو ما يحتويه الفيلم المحمض من صور تعبيرية مادية متناسقة بفعل عملية المونتاج ، والتي هي في النهاية صيغة اظهار شكل العمل الفني » . يلاحظ ان هنالك خلط بين الاسلوب والصورة . ولكي نبين خطا هذا التعريف يجب ان نواجه القضية بصورة دقيقة .

اذا استعرنا تعريف مارسيل مارتن للصورة السينمائية (اللغة السينمائية) نجد التعريف كالاتي: « تكون الصورة المادية الاساسية للغة السينمائية ، فهي المادة الخام الفيلمية ، وان كانت حقيقة معقدة للغاية ، ذلك ان تكوينها يتميز بتراكيب عميقة قادرة على نقل الواقع الذي يعرض نقلا دقيقا » .

الملاحظ ان مارسيل مارتن يعتبر الصورة مادة القيام الاساسية ، كما انه لم يقل عنها انها الشكل او الاسلوب . اذن الصورة هي الوعاء المادي للغة السينمائية ، وبالتالي فهي واسطة التعبير السينمائي، ولا بد ان تكون بمثابة الاطار الخارجي الذي يحتوي الشكل والمضمون معا . فكما ان الكاتب يتعامل مع الكلمات ، اداته القلم ، فان المخرج يتعامل مع الصور، اداته الكاميرا . ومن هنا يستحيل علينا ان نزعم ان الصورة المادية التعبيرية ، المتميزة بتراكيب عميقة لنقل الواقع هي الشكل في السينما .

ان السينما تتضمن اشكالا متنوعة في التعبير عن مضامينها ، وغالبا ما تتداخل هذه الاشكال فيما بينها كان يكون القسم الاول من الفيلم وثائقيا والقسم الثاني مثلا روائيا . والاشكال السينمائية المدرجة في التعبير السينمائي هي : الشكل الروائي ، الشكل الوثائقي ، الشكل التسجيلي ، والشكل التخيلي . وتندرج تحت هذه الاشكال مدارس سينمائية بارزة كالواقعية الجديدة الايطالية ، والموجة الجديدة الفرنسية ، وسينما الحقيقة والسينما المباشرة ، اضافة الى ذلك السينما الكلاسيكية . والواقع ان المقال قد خلط بين المدارس والاشكال حينما زعم ان « للسينما في ذاتها اساليب ومدارس مختلفةفمنها الروائية ، الثقافية ، التسجيلية ، الواقعية ، والواقعية الجديدة السينما الجديدة ... الخ » والزعم ان هذه « المدارس تنقسم في عطائها الفكري (كان بالاحرى ان يضيق العطاء الفني ايضا) الى قسمين ، اولهما السينما التجارية ، وثانيهما السينما الملتزمة سياسيا » دونما تعريف بين السينما او المدرسة التي تعتمد التجارة ، نقول ان السينما التجارية لا تصيب مدرسة الواقعية الجديدة او الموجة الجديدة او السينما المباشرة ، انما هي تقتصر فقط على سينما النمط الاستهلاكي ، سينما هوليود بالدرجة الاولى ، مع العلم انه ثمة سينما سياسية (سينما كوستا غافراس) تلتزم بالمبدا التجاري حيث تحقق افلاما سياسية على الموضة حسب ما يريده الجمهور . وينبغي التذكير ان افلام كوستاغا فراس هي افلام طفيلية على هامش مسيرة السينما السياسية الحقيقية .

كما ان الاسلوب ليس هو الشكل ، انما هو طريقة تناول الموضوع بالمعالجة . غير ان الاسلوب كالتكنيك يؤثر على الشكل والمحتوى ايضا تاثيرا بارزا . ولكي نكون واضحين لا بد من الامثلة .

ان جوزيف لوزي او بيرغمان وهما يطيلان في « ضرب من السينما المسرحية » حسب تعبير الناقد لوي ماركوريل ، يعتمدان الشكل الروائي في اعمالهما ، في حين ان الشكل عند » تروفو « هو من قبيل الافلام ـ الاعترافات ، حسب تعبير ماركوريل ايضا . ان الاسلوب لدى لوزي ينطلق من مذهب مالي حين يعتمد المقابلة والرمز . في « الملك والوطن» ثمة مقابلة ، فمشهد الجنود يحاكمون فارا عض احد الجنود ، وبين مشهد الجنرالات يحاكمون جنديا فارا من الحرب . وفي « اغتيال تروتسكي يظهر الرمز في مشهد مصارعة الثيران حيث الجمهور يصفق للمصارع الذي صرع الثور ، ويتخيل القاتل ان العالم سوف يصفق له عندما يقتل تروتسكي » والشيء نفسه ينطبق على بونويل « شبح الحرية » من حيث الشكل الروائي المعتمد ، والاسلوب السوريالي ، وحيث